لطيفة الزيات

الشيخوخة..وقصص أخرى

بدايات

١١ ديسمبر ١٩٧٤

تلقيت مكالمة تليفونية مفاجئة من سامي اليوم. قرر كما يقرر عادةً قبل أن يسافر بعيدًا وطويلاً أنه في حاجة إلى أن يلقاني. لا أعرف أن سامي في الوطن إلاّ وهو على وشك أن يرحل بعيدًا وطويلاً. قال ربما لا يعود، كما يقول كل مرة، وأزعجني القول لأول مرة. (يقترن الشعور بالشيخوخة والخوف من الموت). ولم ألبث أن تجاوزت الخوف واستعدت اليقين بعودته التي منحتني دائمًا، ولا أعلم لم، نوعًا من الاطمئنان.

في التليفون واتاني الحديث مع سامي في يسر، وكأني أستأنف حديثًا بدأته معه بالأمس. كم طالت غيبته هذه المرة؟ لم أسمع صوته منذ أن تناولنا طعام الغداء في هذا المطعم الجديد الأنيق في الهرم، كان هذا في أعقاب إنهائي لحياتي الزوجية بالطلاق، أي من حوالى عشر سنوات. لم أشعر بالأمس بالحرج الذي استشعرته وسامي يطلب لقائي ولا ترددت في تحديد الموعد كما ترددت إذ ذاك. ألأني رفضت الماضي بحلوه ومره إذ ذاك وبدأت الآن أتقبله؟ ألأني لم أعد أخشى وأنا في الثامنة والأربعين تعقيدات الامتداد إلى المستقبل؟ أي تعقيدات؟ بعد الثامنة عشرة لم يحمل لقائي مع سامي أي تعقيدات. ألأني وأنا أواجه الآن مرحلة الشيخوخة في حاجة إلى التصالح مع ما مضى من حياتي؟

يخطر في بالي الآن خاطر غريب. لقاءات سامي كانت علامات مميزة على طريقي، صادفت تقريبًا كل عقد من عمري. في الثامنة عشرة كان سامي الحب البداية بلا نهاية، الأرض والشمس التي تدور حولها الأرض.

أكانت القصة التي كتبتها قديمًا عن بداية هذا الحب (الأبدي) أم عن نهايته؟ ومتى كتبت هذه القصة؟ بعد نهاية حبي لسامي بعشر سنوات، أم بعد انفصالي بالطلاق عن زوجي وأنا في الثامنة والثلاثين؟ أهي عن حبي (الأبدي الأول) أم حبي (الأبدي الثاني)؟!

يتعين عليّ أن أتوقف عن هذا الشعور بالمرارة، وأن أبحث عن القصة التي كتبتها وأنا في الثامنة والعشرين تحت عنوان (حبها الأول). أمامي فرصة ذهبية لا تتوافر لكاتب إلاّ قليلاً، فهأنذي إزاء حكاية تواجه احتمالات الاكتمال .

ملحوظة: أرفق القصة التي كتبتها منذ حوالي عشرين عامًا بمذكرات اليوم ١١ من ديسمبر سنة ١٩٧٤ لأفرغ لتأمل بقية انطباعات اليوم.

حبها الأول

لفتها موجة حنان وباب مكتبها يسفر عن سامي: السيجارة ترتجف غير مشتعلة في ركن فمه، ونغازتاه يعمقان في خديه، وقطرات المطر تتساقط من معطف المطر الأنيق الذي يرتديه، وتغلبت على دهشتها وهي تخرج من خلف مكتبها تتقدم في خطى هادئة تلاقي حبها الأول بعد غيبة عشر سنين. ومالت على المكتب تدق الجرس وقالت وسامي يجلس في المقعد المقابل: